(01) المشكلة الأولى :[في السؤال و المشكلة]

هل يصح القول بأن لكل سؤال جوابا؟

***

مقدمة: طرح المشكلة

I. من وهم الوضوح إلى وضوح الوهم / أو من الشك إلى اليقين

1. ما ذا تعني الخطوة الأولى على طريق الفلسفة ؟

2. بين السؤال و المشكلة :

2. /أ . ما هو السؤال ؛

2. / ب . تصنيف الأسئلة.

أولا . عرض الوضعية – المشكلة؛

ثانيا . تحليل الوضعية – المشكلة والتعليق عليها؛

ثالثا . تصنيف الأسئلة

II. أي شيء هو السؤال الفلسفي ؟ أي ما الذي يميزه عن غيره من الأسئلة ؟

[بين السؤال الفلسفي و السؤال العلمي]

III. إذا كان السؤال طلب للجواب، هل يعني ذلك أن لكل سؤال جواب / و لكل مشكلة حل ؟

خاتمة : حل المشكلة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مقدمة : طرح المشكلة

أخي الطالب؛ ها أنت تخطو خطواتك الأولى في مجالٍ معرفيٍّ جديد. إنك مدعوٌّ لطرق باب الفلاسفة، كي تجلس إليهم فتأخذ عنهم وتردّ عليهم. إنّك مدعوٌّ لتشاركهم انشغالاتهم، لأنّها انشغالاتك ذاتها. إنّها انشغالاتك لأنّ ما يعني الفيلسوف هو المسائل الإنسانية الشاملة؛ أي تلك المسائل التي تخصّه شخصيًّا، وفي الوقت نفسه يعانيها كلُّ شخص في مرحلةٍ ما من مراحل حياته.

لعلّك؛ أخي الطالب؛ عشت وضعًا فقدت فيه عزيزا عليك، وحزنت حزنًا شديدًا لفراقه، حينها ربما تساءلت: لماذا يموت؟ أوربّما رفعت أكف الضراعة سائلا الله، يا الله لماذا تأخذ من نحب؟ ولعلّك تساءلت : إذا كنّا سنموت جميعًا هل سنلتقي بعد الموت؟ وهل الموت مجرد نفق نعبره إلى حياة أخرى، أم هو نهاية الحياة؟

أخي الطالب؛ إذا عشت مثل هذه الوضعية أعلم أنك كنت تحوم حول حمى الفلسفة، وإن لم تدخلها بعد. اعلم أنك في كلّ ما سألت، كنت تسأل عن حقيقة الحياة والموت وقيمة الحياة وطبيعة وجودك كإنسان في هذه الأرض. إنّك سألت أسئلة فلسفية من حيث لا تدري، لكن هذا لا يعني أنّك تفلسفتَ، لأن **التفلسف هو أن تفكر بطريقة فلسفية.**

لكن ما ذا يعني أن تفكِّر بطريقة فلسفية ؟

ذلك ما ستكتشفه من خلال دراستك هذه السنة بالتدرّج. لكن من المفيد جدًّا أن نقدّم لك بعض المعالم تهتدي بها و**أنت ترتقي في اكتساب آليات التفكير الفلسفي بمختلف مقوّماته.**

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

I.من وهم الوضوح إلى وضوح الوهم / أو من الشك إلى اليقين

اعلم؛ أخي الطالب؛ أن الإنسانَ كائنٌ عاقلٌ ينفر دائمًا من الغموض والالتباس **فيطلب الوضوح** (والوضوح لغةً هو الظهور ضد الخفاء)، لكن غالبًا ما يعترض عقله عوارض فيتوّهم الوضوح في أمورٍ ليست واضحةً **ومن هذه العوارض المألوف والعادة واللغة العادية والإحساس.** تأمّل معي هذا المَثَل الذي كان يسوقه العرب عندما يريدون وصف شيءٍ ما بأنّه واضح وبديهي، يقولون: "هذا من باب السماء فوقنا"؛ أي أن هذا الأمر في تمامِ الوضوح، كوضوح العبارة القائلة " أن السماء فوقنا " وليست أسفلنا. وها أنت تقرأ المثل معنا وربّما سبق إلى نفسك بالفعل أن القول : " السماء فوقنا " حقيقة ظاهرة لا يخالطها أي التباس، هكذا عهدناها، وهكذا نحسّ بها وهكذا تخبرنا اللغة أيضا، فكلمة السماء في اللغة العربية تدل على العلوّ والارتفاع، قال ابن منظور في لسان العرب : " وسماء كل شيء أعلاه "، و " قال الزجاج السماءُ في اللغة يُقال لكلّ ما ارتَفع وعَلا، قَدْ سَما يَسْمُو وكلُّ سقفٍ فهو سَماءٌ ". وإنّك تلاحظ؛ أخي الطالب؛ كيف التقت اللغة والاحساس والمألوف على أمرٍ واحدٍ، هو أن السماء هي فوقنا. وفي العادة فنحن نتلقى مثل هذه المعارف بالقبول والتسليم، لذلك هي تبدو لنا واضحة وبديهية، والمخالف لها يبدو لنا في تمام الالتباس والغموض.

لكن هل فكّرت يومًا أن السماء قد تكون تحتنا، أو عن أيماننا أو شمائلنا؟ هل راودك شكٌّ في أن هذا الذي تعرفه وتدركه بتجربتك الحسّية المباشرة وتخبرك اللغة عنه، قد لا يكون دقيقا ؟ إن فعلت ذلك، فاعلم أنك قفزت قفزة عملاقة على طريق الفلسفة. **لأنّ الفلسفة . كتأمل نقدي . تبدأ بمساءلة المألوف**

والعادي والشائع، وهذا هو النهج الذي كان يسلكه "سقراط" في محاورة مخالفيه. وهو الطريق ذاته الذي انتهجه الفلاسفة من بعده.

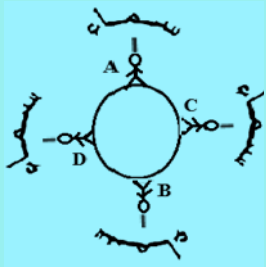

الشكل : 1

وإنْ لم يراودْك ذلك فنحن ندعوك إلى خوض تجربة التأمل هذه معنا. يخبرنا العِلمُ اليوم أن الأرض كروية أو تكاد تكون، والناس يسكنون في أنحائها الأربعة كما هو مبيّن في **الشكل 1** (تقسيم الأرض إلى هذه الأنحاء الأربعة هو تقسيم افتراضي)، وكلّهم مشدودون إلى الأرض بقانون الجاذبية والجميع يرى أن السماء فوقه. تخيل؛ أخي الطالب؛ نفسك أنّك الشخص (A) و تأمل كيف أن التجربة الحسية المباشرة ستخبرك أن سماءك فوقك لكن هذه التجربة لن تخبرك شيئا عن سماوات الأشخاص الآخرين في الأنحاء المتبقية من الأرض. لم يبق لك غير التأمل العقلي لإدراك ذلك وقد وضعنا لك رسمًا تخطيطيًا للأرض والأشخاص، يساعدك على إدراك كيف ستبدو لك سماوات الأشخاص الآخرين. إنّك ستدرك سماء (الشخصB) أسفل منك وسماء (الشخص D) عن يمينك وسماء (الشخص C) عن شمالك. والأمر نفسه يصحّ بالنسبة لجميع الأشخاص.

جميع الحقوق محفوظة ©

فـــإذا علمـــت هـــذا ســـتدرك؛ أخـــي الطالـــب؛ أن قولنـــا :

" الســماءفوقنا " **أمـــرٌ نســـبي ولـيس بـديهيًا**، كما يعتقد الرجل العـادي أو كمـا تُـوهمُ بـه ألفـاظ اللغة العادية أو كما يكشفه الحس العـادي. فـإذا حصـلَ عنـدك هـذا الإدراك فـاعلم أنّـك بـدأت تفكّـر بطريقة فلسفية. نقول بدأت تفكر، يعنـي أنـك قمـت بخطوتـك الأولـى علـى طريـق الفلسـفة، لكنـك لـم تسر في طريقها بعد.

الوثيقة رقم : 1

" عندما نريد حلّ صعوبة (مشكلة) ما يحسن بنا أن نطرحها بعناية، لأن الراحة التي سيلقاها الفكر في المستقبل تفترض حلاًّ للصعوبات الموجودة من قبل، و أنه من المحال فك عقدة دون معرفتها. وارتباك الفكر يجعل هذه الفكرة بينة بالنسبة إلى موضوع بحثنا. و بالفعل؛ فإن يكون الفكرُ مرتبكا هو أن يجد نفسه في وضع شبيه بوضع إنسان مقيد، فيكون مثله عاجزا عن التقدم. ينبغي إذن، قبل كل شيء ، أن يفحص كل الصعوبات؛ و ذلك لا بالنظر إلى الدواعي المذكورة بكلّ تأكيد، وإنما أيضا لأن من يبحث دون أن يطرح المشكل أولا شبيه بمن يمشي دون أن يعرف إلى أين يذهب، بل و يصبح معرّضًا إلى أن لا يعرف ما إذا كان قد عثر على المطلوب أم لا في مرحلة من مراحل البحث ."

أرسطو . من كتاب "ما بعد الطبيعة".

جميع الحقوق محفوظة ©

1. ماذا تعني الخطوة الأولى على طريق الفلسفة ؟

تتمثل هذه الخطوة، و باختصارٍ، في طرح المشكلات، من خلال **مساءلة المُعطى والمألوف وما تلقيناه من المجتمع بالتسليم فولّد فينا وَهْمَ الوضوحِ**

(أي يبدو لنا، ما نعتقده ونصدقه، واضحًا وهو ليس كذلك؛ ولك في اعتقادات قريش وأوهامهم قبل مجيء الإسلام خير دليل على ذلك). وهكذا تكون الخطوة الأولى للفلسفة : **طرح المشكلة وطلب حلّها**؛ أي أن تكشف عن الغموض خلف الوضوح المزعوم، وتكشف عن التعارض داخل الانسجام الظاهر. حينها فقط يكتشف المرء أنّه يجهل ما كان يعتقد أنّه يعرفه. يعرف أن ما كان يظن أنّه حقيقة لم يكن سوى وهم،و ساعتها **ستردّد** مع " سقراط" عبارته الشهيرة : " أن الشيء الذي أعرفه جيّدًا هو أنني لا أعرف شيئًا "، هذه خطوتك الأولى على طريق الفلسفة؛ أخي الطالب؛ وهي أن تتخلّص من جميع قناعتك غير المؤسّسة. أن تشكّ وتندهش وبالتالي **تطرح المشكلات** وأن تسأل وتنشغل بطرح السؤال قبل أن تعتني بالبحث ن الإجابة.أن تراجع قناعاتك وتَزِنَها بميزان العقل لا بميزان التقليد والتشيّع للرأي أو الجماعة. أن تراجع قناعاتك فتؤسس ما ظهر صوابه لديك على الحجّة والبرهان، وتتراجع عمّا تبيّن فساده لديك.

جميع الحقوق محفوظة ©

2. بين السؤال و المشكلة

أخي الطالب؛ في ثنايا حديثنا عن الخطوة الأولى على طريق الفلسفة قلنا: " أن تطرح المشكلات، أن تسأل"، وما ذلك إلاّ للتّرابط العضوي بيين المشكلة الفلسفية والسؤال الفلسفي. ومن المفيد قبل أن نكشف عن هذا الترابط أن نحدِّد كلاّ منهما، ونبيّن لاحقا ما بينهما من وشائج.

2 / أ . ما هو السؤال ؟

أيّ شيء هو السؤال الفلسفي؟ أي ما الذي يميزه عن غيره من الأسئلة؟ و هل لكل سؤال جواب ؟

إن أول ما يتبادر إلى ذهنك عندما يطلب منك تعريف السؤال هو الاستفهام، وإذا كان القول: "أن كل استفهام هو سؤال" ، قولا صادقا، فإن عكس القول : كل سؤال استفهام، غير صادق. لأنّه كما بين أبو هلال العسكري أننا نسأل عمّا نعلم وما نجهل، ولكننا لا نستفهم إلاّ عما نجهل قال : "الفرق بين السؤال والاستفهام، أن الاستفهام لا يكون إلاّ لما يجهله المستفهِم أو يشكّ فيه وذلك أن المستفهِم طالبٌ لأن يفهم، ويجوز أن يكون السائل يسأل عمّا يعلم، وعن ما لا يعلم ، [...] والسؤال هو طلب الأخبار بأداته في الإفهام..."[1].وهذا يفيد أن معنى الاستفهام أضيق من معنى السؤال، ولا يصحّ تعريف الواسع بالضيق والعكس صحيح؛ أي يصح توضيح المعنى الضيق بالمعنى الواسع ولهذا عرف قوله طلب الأخبار بأداته في الإفهام، هو تمييز له عن الدعاء، وطلب المتسول للصدقة. أي

---

[1] . "أبو هلال العسكري" : الفروق في اللغة (محقق) : دار الأفاق الجديدة الطبعة السابعة 1991 ص28

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أن كل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤال. فالسؤال إذن **طلب بأداة استفهام** ويمكنك التمييز بين نوعين من أدوات "الاستفهام / السؤال " :

- **النوع الأول** : يُستخدم في الاستفهام عن معنى اللفظ المفرد (في المنطق هو التصوّر) مثل قولنا : ما الفلسفة؟ أي ماذا نعني بمصطلح الفلسفة ؟ فإنْ كان الجواب: هي تفكير ولم يفهم السامع أيّ نوعٍ من التفكير هي الفلسفة. وَجَب عليه حينها أن يسأل: **أيّ** تفكير هي الفلسفة؟ فيطلب بذلك زيادة توضيح المعنى من خلال تمييزها عما يشتبه بها. إذن ما وماذا وما الذي، يسأل بها عن معنى اللفظ المفرد (التصوّر) دون حاجة إلى تمييزه عما يشتبه به من المعاني القريبة منه أو الداخلة فيه. أمّا **أيّ**، يُسأل بها عن معنى اللفظ المفرد (التصوّر) و لكن من خلال تمييزه عما يشتبه به.

- **النوع الثاني** : يُستخدم في طلب معنى اللفظ المركب (في المنطق هو الحكم)؛ أي إثبات وجود علاقة بين الألفاظ أو نفيها، مثل قولنا هل للفلسفة من دور في زمن العلم ؟ بمعنى هل يوجد دور للفلسفة في زمن يسيطر عليه العلم أم ليس لها دورٌ؟ و من هذا النوع : هل، الهمزة، كيف، لماذا ، متى.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

نستنتج؛ أخي الطالب؛ أن هناك نوعين من الأسئلة

أ – نوع يستخدم في الاستفهام عن معنى اللفظ المفرد (التصوّر)[1]؛ و من أهم أدواته الاستفهامية : ما و ماذا.

ب . نوع يستخدم في طلب معنى اللفظ المركب (الحكم المنطقي) ؛ و من أدواته : هل، كيف، لماذا.

2 / ب – تصنيف الأسئلة

أولا – عرض "الوضعية – المشكلة"

أخي المتعلّم ؛ لاحظ معنا الأسئلة في الوضعية التالية :

1 – قال تعالى: " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ **مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** (20)"[2] .

2 – محمود تلميذ مؤدب ونجيب، نشب بينه وبين زميله مرة مشادّة كلامية تطورت إلى التمساك بالأيدي، وإذا به يوقع بزميله أرضا، يلحق به ضررا. وفي الأثناء مرّ الأستاذ بهما فأغضبه المشهد وفصل بين المتخاصمين ثم وجّه

---

[1]. و سيأتي تفصيل هذا في مشكلة انطباق الفكرمع نفسه .

[2]. الآية 20 من سورة النمل .

قال الرازي في تفسيره لآية أما قوله : { فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الهدهد أَمْ كَانَمِنَ الغائبين} فأم هي المنقطعة، نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا أراه، على معنى أنّه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول : أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الكلام إلى محمود:**أيصدر عنك مثل هذا يا محمود ؟!** ما توقعت ذلك منك قط، فأطرق محمود وقد كسى وجهه حياءٌ شديدٌ.

3 – يحدث في واقع الناس أن يتعرّف بعضهم على بعض، وقد يبادر أحد المتعارفين **ما اسمك؟** فيجيبه الآخر محمود، **وأنت ما أسمك ؟** فيردّ عليه " أنا عبد الأعلى ".

4 – أستاذ الكيمياء يسأل الطالب : **هل الماء جسم بسيط أو مركب؟** و الطالب يجيبه في ثقة العارف والمراجع لدروسه، إن علم الكيمياء الحديث أثبت أن جزيء الماء يتألف من ذرتي أوكسجين وذرة هيدروجين، ولهذا فهو **مركب و ليس بسيطا**.

5 – هل الاستنساخ الباثولوجي[1] حلال أو حرام؟ خير أو شر؟ نافع أو ضار؟

6 – يقول أفلاطون " كل ما يقوله سقراط صادق", ويقول سقراط "كل ما يقوله أفلاطون غير صادق." فإذا كان قولُ كل واحدٍ منهما يتعارض مع قول الآخر بحيث يستحيل أن يكون كلاهما على حق **فأيّهما صادق؟**

7 – في بداية الثلاثي الأوّل من السنة الدراسية، وقبل أن يتخطى الطالب صباحا عتبة باب الثانوية، اكتشف – وهذا قبل موعد الحصة بعشر دقائق – أنّه نسي كتابه الخاص بالنصوص الفلسفية، وتردَّد في الدخول؛ مخافة العقاب بسبب إهماله، وفي الوقت نفسه أراد الدخول مخافة عدم فهم الدرس لِمَا له من أهمية ضمن البرنامج وشعر بأنّه يواجه أمرًا مستعصيًا يحتاج إلى حلٍّ مستعجلٍ، وتساءل : **ما العمل؟**

---

[1] . الاستنساخ الباثولوجي: الغرض منه علاجي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا . تحليل "الوضعية– المشكلة" والتعليق عليها :

أيّها الطالب؛ في تحليلك لهذه الوضعية أنت مدعوٌ لتلاحظ فيما تتشابه وحداتها وفيما تختلف، لتتمكّن فيما بعد من **اكتشاف العلاقات و تصنيف وحدات الوضعية.**

إن هذه الوضعية هي مجموعة من الجمل، إمّا أنّها وردت على صيغة سؤال أو أنّها تنتهي بسؤال. لكن هل جميع ما جاء منها على صيغة سؤال، يفيد معناه السؤال؟ وإذا لم تكن جميعا تفيد معنى السؤال مع كونها في الظاهر هي أسئلة، فكيف نميّز بينها ؟

ارجع؛ أخي الطالب؛ إلى الجملة الأولى ولاحظ أنّها آية قرآنية يقول فيها تعالى على لسان سليمان عليه السلام : " وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20)" ؟ وسليمان يسأل بعد أن اجتهد في طلب الهدهد ببصره وبدا له أنه ليس في جملة الحاضرين، هل هو إذن في جملة من غاب عن مجلسه؟ إنّه يطلب **التثبت** ويريد أن يعرف كي لا يظلم الهدهد في اتهامه بالغياب عن مجلس النبي الملك سليمان. والأمر نفسه نجده مع الجمل:8،7،6،5،4،3. ففي الجملة (3) محمود يسأل عبد الأعلى، وعبد الأعلى يسأل محمود ليعرف كل منهما اسم صاحبه. وفي الجملة(4) أستاذ الكيمياء يسأل الطالب مختبِرًا إيَّاه ليعرف مدى تحصيله واستيعابه، وقدرته على الاستنتاج. وفي الجملة (5) **يطلب** السؤال معرفة حكم الشرع فيما يتعلق بالاستنساخ الباثولوجي. وفي الجملة(6) **يطلب** السؤال معرفة أي الرجلين أصدق في الحكم على صاحبه، وفي الجملة (7)

جميع الحقوق محفوظة ©

الطالب يريد معرفة الحل؛ أي ما في وسعه أن يفعل كي يحضر الحصة ولا يتعرض للعقاب؟

ولكن **لاحظ؛ أخي الطالب**؛ أن الجملة الثانية وإن كانت تتضمن صيغة الاستفهام عندما قال الأستاذ لمحمود : " **أيصدر عنك مثل هذا يا محمود؟!**" لكن الأستاذ بهذه الصيغة يستنكر على محمود أن يصدر عنه مثل هذا الفعل لأنّ المؤدب المجيب سلاحه في الخلاف – بلغت شدّته ما بلغت – العقل واللسان، بالأوّل يحاجج وبالثاني يبيّن، وهكذا يتّضح عندك ،أيّها الطالب، ليس كل صيغة سؤال تفيد الاستفهام وطلب المعرفة، بل بعضها يفيد الإنكار أو التوبيخ أو الحثّ والتحفيز. وبالتالي يكون جوابا أكثر منه سؤالا، مثل ما ورد في العبارة الثانية من الوضعية.

ثالثا – تصنيف الأسئلة

أ. الأسئلة المألوفة :

لو أنك تأملت السؤالين الأول و الثالث في الوضعية السابقة، لتبيَّن لك أنهما من ذلك النوع الذي يُعرض لنا على نحو مستمرفي الحياة، و**الجواب عنهما لا يستدعي تأملا و لا تفكيرا**، إمّا لأنه معطى بمجرد استخدام الحواس، مثل ما هو الحال مع سؤال سليمان عليه السلام، " مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ"، فإنّه يكفي منه تحقيق النظر ليعرف الجواب. وإمّا لأن الجواب مألوف، مثل أن تجيب من يسألك عن اسمك بذكر اسمك.

جميع الحقوق محفوظة ©

ب. **أسئلة المكتسبات :**

والسؤال الـ (4)، لا يجيب عنه إلاّ منْ خضع لنوعٍ التدريب والدراسة الكيميائية، و**لا يُجاب عنه،إلاّ بالاحتكام إلى المقاييس العلمية** التي اكتسبناها في الدروس والمخابر الكيميائية.

ج. **أسئلة الوضعيات العملية :**

ويجد المتعلّم نفسه أمام السؤال الـ (5) في **وضعية** "**Situation**" **مُقلقة ومحرجة، نقول وضعية لأنها حالة يعيشها هو بنفسه من الداخل**، ويتحتّم عليه مواجهتها، ومن العناصر التي يدركها، وتتشكّل منها العقبة أمامه :

* أهمية بداية الثلاثي الأول : وهي الفترة التي يجب أن يبدي فيها المتعلم الجدية والانضباط والانتباه؛

*عشر دقائق فقط، قبل بداية الدرس، أي لم يبق له متسَعٌ من الوقت حتى يعود إلى البيت حيث يقتني كتابه؛

*عواقب نسيان كتاب النصوص: ومما يترتب عنه، عدم رضا الأستاذ عنه وصعوبة تتبع الحصة الخاصة بدراسة النصوص الفلسفية، و إحراج زملائه في مساعدته.

*استعجال البحث عن حلٍّ، وهذا يستدعي وضع فروض واحتمالات منها: البحث عن الكتاب داخل الثانوية لدى بعض الأصدقاء؛ من قسم آخرومن نفس الصف؛ الذين يحضرون الحصة فيساعة موالية، أو السؤال عنه في المكتبة إذا كانت مفتوحة، أو يتصل عن طريق النقَّال بمن يحمله إليه.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

د. **الأسئلة الانفعالية :**

وفي السؤال الـ (5 و6) **لا يبدو بأن الإجابة ستكون بديهية**، أما بالنسبة للسؤال (05) ، فلكي تجيب عنه فإنّك :

* تحتاج إلى اطلاعٍ كافٍ على ظاهرة الاستنساخ والتمييز بين الاستنساخ المفتوح والاستنساخ الباثولوجي أو العلاجي.

* وإلى اطلاعٍ كافٍ على حكم الدين فيها، هل هي حلال أم حرام؟

* واطلاعٍ كافٍ على رأي علماء الأخلاق، هل هي خير أم شر؟

*واطلاع كافٍ على رأي علماء الاجتماع،هل هي نافعة أم ضارة؟

* هذا فضلا، عمّا تُثِيره القضية في النفس من إحراجٍ على مستوى العقيدة، وعلى مستوى التقدير الذاتي، وعلى مستوى العقل المنطقي والفلسفي. ومن ذلك، أنه ليس من الضروري، أن تجيب بهذا أو بذاك؛ أي أن تختار إحدى الإجابتين الجاهزتين: فقد لا تختار مثلا، في مستوى العقيدة الحلال أو الحرام؛ فقد ترى أنّه مثلا، جائز أو مندوب أو مكروه؛ وكذا الأمر بالنسبة إلى تقدير المنفعة والضرر أو الخير والشر ولثُنائية منطقها: فقد يكون الأمر نافعا ضارا، أو يكون خيرا شرا دون تحديدٍ رياضي دقيق لنسبة تأثير الواحد في الآخر.

أمّا بالنسبة للسؤال (6) فالجواب عنه يستدعي معرفة المنطق والتعمّق في القياس والتقابل، وإعمال الفكر والذكاء من أجل الوصول إلى الجواب في حدود الطاقة البشرية لأن السؤال الأخير يبدو أشد الأسئلة تعقيدا، والجواب عنه أشد صعوبة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

II. أي شيء هو السؤال الفلسفي؟
أي ما الذي يميّزه عن غيره من الأسئلة ؟
[بين السؤال الفلسفي و السؤال العلمي]

تذكر؛ أخي الطالب؛ أنّ في السؤال طلبَ خبرٍ، قد نكون على علم علم به أو نجهله، أمّا إذا كان الحديث عن السؤال الفلسفي،فإنّنا لا نسأل إلاّ عما نجهل وذلك لأن الذي يدفع إلى طرحه، هو الحيرة التي يجدها المرء عندما يكتشف جهله الخاص، ولا يكون الجواب عنه معطى أو ميسورًا.

قد يُقال أن هذا فرقًا بين السؤال الفلسفي والسؤال المبتذل، لكنه يظلّ مشتبها بالسؤال العلمي، الذي هو الآخر تبعثه الحيرة، ويكون مثله طلب خبر نجهله. والجواب أن السؤال الفلسفي يختلف عن السؤال العلمي من وجوه :

- إذا كان كلٌّ من السؤالين يتضمن صعوبةً، فإنّ الصعوبة في السؤال الفلسفي غالبًا ما تكون "إشكالية"، أمّا في السؤال العلمي فهي في العموم "مشكلة" ويلزم من هذا أن يكون السؤال الفلسفي أكثر صعوبة وتعقيدًا، وتزداد هذه الصعوبة بسبب أن السؤال الفلسفي أكثر ارتباطًا بوجود الإنسان وحياته ومصيره، حتى عندما يسأل عن الله والوجود يبقى الهدف النهائي للسؤال الفلسفي معرفة الانسان ومصيره. وهذا يعني أن السؤال الفلسفي يتميّز بخاصية أخرى قلّما توجد في غيره، وهي أنّه يجمع بين صفتين متناقضتين، فمن جهة أن الفيلسوف عندما يطرح السؤال، فإنّه يطرحه كسؤال يعنيه شخصيا ويفكر فيه من هذا المنطلق، فيبدو السؤال الفلسفي كتجربة ذاتية وخاصة، غرضه أن يحرّر الفيلسوف من جهله الخاص، إنّه طالبٌ لمعرفة الحقيقة، وليس معلِّما ينشر الحقيقة بين الناس. هذا الذي يخبرنا به اسم "الفيلسوف" كما ظهر لدى اليونان. فكلمة **فلسفة** اليونانية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الأصل – فلا، سوفيا – تعني **حب الحكمة**، و"**الفيلسوف**" – فلا، سوفوس – هو **المحب للحكمة**. إن الفيلسوف هو طالب العلم الأكثر تواضعًا، لأنّه لا يقدّم نفسه كحكيم يعلّم الحكمة لغيره – كما كان حال الشاعر والسفسطائي في زمن سقراط –، وإنّما هو **طالب للحكمة** مُؤْثِر لها على كلّ ما سواها – كما كان حال سقراط مع محاوريه –، ومن جهة أخرى فإنّ السؤال الذي يطرحه الفيلسوف، هو سؤال يطرحه كلّ إنسانٍ – ارتفع شأنه أو دنى في سلم المعرفة –، وبهذا يكون **السؤال الفلسفي سؤالا كونيا**، يهم الفيلسوف شخصيا ويهمّ كلّ إنسانٍ في الوقت نفسه، فيبدو السؤال الفلسفي خاصًا وعامًا، ذاتيًا وموضوعيًا شخصيًا وكونيًا في الوقت نفسه وهو ما لا نجده في السؤال العلمي، الذي يترجم اهتمامات العلماء فيكون بهذا المعنى موضوعيًا وعامًا.

– وكذلك تأتي شدة تعقيد السؤال الفلسفي مقارنة بالسؤال العلمي من طبيعة موضوع كلٍّ منهما، فـ**الأول** يتعلق بقضايا من طبيعة ميتافيزيقية . موضوعاتها لا تقبل الملاحظة والقياس مثل الحرية والعدالة والحق... .، أما **الثاني** فموضوعاته ظواهر الطبيعة القابلة للملاحظة والقياس. إن السؤال العلمي يطلب معرفةَ القوانين والأسباب القريبة للظواهر، أمّا السؤال الفلسفي فهو طلبٌ لمعرفة الأسباب والعلل الأولى للوجود. ولهذا فإن السؤال الفلسفي يكون أكثراتساعا وشمولاً من السؤال العلمي، و**يتضمن عدد أكبر من المشكلات**، فهو في الجملة يتضمن **إشكالية**.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

III. إذا كان السؤال طلب للجواب، هل يعني ذلك أن لكل سؤال جوابًا / وأنّ لكلِّ مشكلة حلاًّ ؟

من البديهي؛ أخي المتعلّم؛ أنّه عندما نطرح سؤالا، فنحن لا شكّ ننتظر جوابًا أو نتوقعه على الأقل. ولا يدور في خلدنا أن سؤالنا هذا لا يملك جوابًا. ولكن بعض الفلاسفة ذهبوا إلى القول أن هناك من الأسئلة ما لا جواب عنه. فإذا صحّ قولهم فكيف نبرّر وجودَ طلبٍ مطلوبه مفقود؟ وإذا كان قولهم هذا فاسدًا، فكيف يمكننا تبرير أن كلّ سؤال يملك جوابًا ؟

أخي الطالب؛ إن الذين ذهبوا إلى القول أنّ بعض الأسئلة التي يطرحها البشر لا تملك جوابًا[1]كان تبريرهم أن تاريخ الفلسفة والعلم يبيّن أن هناك أسئلةً كثيرةً طُرحت في أزمنة تاريخية متباعدة، ولم تتوصل البشرية إلى الإجابة عنها. وكذلك تبيّن أن بعض الأسئلة تتضمن معضلات وبالتالي فهي تثير إحراجًا، ويلزم عن ذلك منطقيًا ونفسيًا عدم الوصول إلى جواب ومن أمثلة هذه المسائل المعرفية والمنطقية مفارقة المحامي ومفارقات "زينون[2]" [**وتبدو في هذه المفارقة أن اللانهائي حقيقةٌ وليس حقيقةً في الوقت نفسه**]. وتزيد المفارقة تعقيدا، عندما نطرح المأزق الذي وقع فيه **أخيل**[3]عندما أخذ مسافة معينة؛ أي (م) محدّدة وقرَّر

---

[1] . عن أنطوان خوري : السؤال عن السؤال، مجلة الفكر العربي المعاصر العددان 4 و5 آب . أيلول 1980.

[2]. ينتمي للمدرسة الإيلية اشتهر بقدرته الحجاجية، من أشهر مفارقاته: نفي الحركة.

[3] . أو(أخيلوس) أو أشيل(Achille) هو أحد الأبطال في قطع المسافات الذين يذكرهم " زينون" الفيلسوف الإغريقي الذي رأى الحياة بين (490-485) قبل الميلاد، وتوفي في 435، وكان ينكر حقيقة الحركة بحجج قصصية مثل "السهم الطائر"، " أخيل والسلحفاة": فلتغطية مسافة بين

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

أنّه يبدأ بقطع نصف المسافة (م) ثم نصف النصف أي الربع ثم الثمن؛ وهكذا، من غير أن يصل إلى نهاية. وهذا يعني أن المسافة المحدودة تحمل داخلها مسافات لامحدودة **[وبهذا يكون المحدود (المنتهي) لا محدود (لانهائي) في الوقت نفسه]**. وأخرى كثيرة طرحها فلاسفة وعلماء المنطق. أما مفارقة المحامي تقصّ علينا: "لقد وافق" بروتاغوراس[1] " على أن يُعلّم الحقوق لأحدِ طلبته" أثْلوس EUATHLUS " وهو طالب فقير، لكن بشرط أن يدفع له أتعابه بمجرد كسبه لأولى دعواه. لكن" أثْلوس" بعد إنهاء دراسته، لم يعمل بالمحماة وإنّما اتجه لممارسة السياسة. فطالبه بروتاغوراس أن يُؤدي ما عليه من دين، واستحضره أمام المحكمة لاسترجاع دينه، وقرّر أنّه في ما إذا خسر تلميذه القضية لزمته الطاعة وتعويض الدين، أمّا في حالة ما إذا كسب القضية وجب عليه سداد الدين لأنّه يكون قد فاز في أول قضية والاتفاق يقضي بأنّه إذا فاز في أوّل قضية يسدّد أتعاب أستاذه. وتقرّر لدى التلميذ " أثْلوس" بمثل ما تقرّر لدى أستاذه؛ أي أنّه في حالة ما إذا كسب الدعوى تكون المحكمة قد فصلت لصالحه، ومن ثمة لا يلزمه دفع أيّ شيء، أمّا إذا حكمت المحكمة لغير صالحه يكون قد خسر أول قضية ومن ثمة

نقطتين، وجب قبل كل شيء، على عامل متحرّك أن يقطع نصف هاته المسافة، ثم نصفَ نصفِها، وهكذا، إلى غير نهاية. إن العامل المتحرك لا يصل إطلاقا إلى غايته. هذا هو المبدأ الذي كان يقوم عليه التنافس بين "أخيل والسلحفاة" التي انطلقت قبله.

[1]. بروتاغوراس ق 5 ق . مPROTAGORAS .فيلسوف يوناني، وأحد زعماء السفسطائيين، كان يقول" أنا سفسطائي ومهمتي هي تعليم الناس العلم ونشر المعرفة بينهم. وهو أيضًا عنوان لإحدى محاورات أفلاطون.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

فهو ليس ملزمًا بسداد الديْن حسب الاتفاق الذي ينصّ أنه يسدِّد الدين عندما يكسب أوّل قضية أمام المحكمة.

وعلى هذا النحو نجد أنفسنا في وضعية محرجة ومفارقة يصعب حلّها والسؤال : " أيّهما يكسب الدعوى أثْلوس أم بروتاغوراس؟ " سيظل معلّقًا دون جوابٍ.

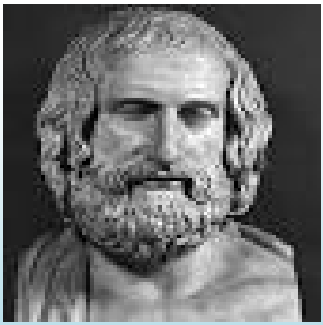

بروتاغوراس

– في الحقيقة ان أكثر المفارقات هي من هذا النوع، وهذه المفارقة نشأت من احتكام كلا الخصمين إلى **معيارين مختلفين**، بحسب ما يحقّق مصلحته. فحالهما حال لبّان يملك مكيالين أحدهما يزيد عن اللتر والآخر أقل من اللتر، فإذا اشترى اللبن استخدم المكيال الذي يزيد عن اللتر، وإذا باع استخدم المكيال الذي هو أقل من اللتر. ولابد أن جميع الناس سيتفقون أن هذا اللبان ظالم، وليس صاحب حق. وكذلك حال أثلوس وبروتاغوراس. ثم إن كلاهما يقبل بحكم المحكمة إذا كان الحكم لصالحه، أما إذا كان **حكم المحكمة** لصالح خصمه، فهو يحتكم إلى **الاتفاق** الذي أُبرم بينهما في أول التعلّم، وبهذا يكون في الخصومة حكمان متعارضان، وهو حكم باطل لا يقرّه عقل ولا قانون، كالشخص الذي تسأله فيجيبك إجابتين متعارضتين، لابد أنّك تحكم بفساد جوابه.

– أما عن احتجاجهم باستقراء الواقع، فإنه لا يثبت دعواهم، لأن الواقع يثبت أن الفلاسفة والعلماء لم يصلوا إلى جوابٍ بعد، لكنه لا يثبت أن السؤال لا جواب عنه. فكما قال ابن تيمية : " عدم الوجود ؛ أي عدم وجود الجواب؛ لا يعني العدم، أي انعدام الجواب أصلاً". فلكل سؤالٍ جوابٌ.

http://www.onefd.edu.dz

وفي المقابل تذهب طائفة واسعة من العلماء والفلاسفة إلى الاعتقاد بأنّه لكل سؤال، تطرحه البشرية على نفسها، جوابًا سواء أعَلِمَه هؤلاء أم خفي عنهم، وسواء أصرّحوا بوجود الجواب أم دلّت على ذلك ممارساتهم. عندما نجد عالما أو فيلسوفا أو مفكرا ينظر في قضايا، سَبَقَه إلى النظر فيها غيره، ولم يصلوا إلى جواب، أو لم تقنعه الأجوبة التي قدّمها غيره، فهذا يدلّ على أن هذا الفيلسوف، يحمل في أعماقه قناعة أن هذا السؤال يملك جوابًا آخر. ولولا هذه القناعة ما أهدر جهدا ووقتا في التفكير والنظر والبحث عن جواب. ولهذا يقول "**لودفيق فيدغنشتاين**": "**إن اللغز غير موجود، فإذا طُرح السؤال بشكل سليم، فإنّه يمكن أن يجد جوابه بشكل سليم أيضا**"[1].

وعلى هذا الأساس؛ فإن السؤال الذي لا يجد له جوابا، فهو إمّا أنه طُرِح طرحا سيئا، أو أنّه لا يملك من السؤال غير صيغته اللغوية، أي **ليس سؤالا حقيقيا لأن السؤال في حقيقته طلب، كما رأينا ذلك سابقا، والطلب يستدعي مطلوبا (أي موضوع الطلب) مقدورا عليه**، لأن الطلب غير المقدور عليه ليس طلبًا، ولكنه تعجيزا. ويقول "كارل ماركس" : " لا تطرح الإنسانية إلاّ المشاكل التي تقدر على حلها ".

[1] - Ludwig Wittgenstein - tractatus logico-philosophicus - idées gallimard.p174

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

خاتمة : حل المشكلة

من التحليل السابق يتضح لديك؛ أيّها الطالب؛ أن **السؤال طلب، لكن ليس كل طلب سؤالا،** فالأمر والنهي والنداء ... ؛ كلّها مطالب وليست أسئلة. وأن كلّ استفهامٍ سؤال، غير أن السؤال ليس دائما استفهامًا، لأن المستفهِم يسأل عمّا يجهله ويطلب معرفته، أمّا السائل كما تبيّن عندك سابقا قد يسأل عمّا يعلم وعمّا يسأل. وأن كلّ مشكلة استفهام وليس كل استفهام مشكلة، لأنّ المستفهم يسأل عمّا يجهل سواء أشكل عليه الأمر أم لم يشكل، ألا ترى أنك عندما تسأل شخصا لا تعرفه وتودّ معرفة اسمه قائلا ما اسمك، أنت تستفهم لكنك لا تعاني من أية مشكلة ولا تجد في نفسك أيّ قلق من جراء جهلك باسمه، أمّا سؤالك هل الناس أحرارٌ في أفعالهم؟ وهل هم مسئولون عن جميع أعمالهم؟ وهل هم مؤاخذون حتى عن أخطائهم؟ وهل يُعذّبون بها؟ لاحظ أن إلحاحَك في السؤال على هذا النحو يكشف مدى التوتر الذي تعانيه والحيرة التي تعتريك. إنّك هنا تستفهم وتطرح مشكلة، ولن تدّخر جهدًا في الوصول إلى الجواب وحلّ المشكل، إنّك ستطرق باب الفلسفة والدين والعلم وأي باب آخر ترى أنّه يساعدك في رفع الحرج وإزالة التوتر. ألا ترى؛ أخي الطالب؛ أنّ هذه الألفاظ يشمل بعضها بعضا دخل بعضها في بعض على نحو ما يبيِّنه الشكل التالي :

تتدرج المطالب ويتداخل بعضها في بعض على نحو ما هو مبيّن في الشكل.

إذا تبين لك هذا، أيّها المتعلّم، لابد أنك علمت أيضًا ممّا تقدم أن" الأسئلة – المشكلة " ليست من صنفٍ واحدٍ على الأقل أصبحت تميز بين ما هو فلسفي فيها وما هو علمي، وتبين عندك أن حلّها والإجابة عنها ليس بالدرجة نفسها من الدقة والبساطة، بل مِنَ الفلاسفة مَنْ قال بسبب ذلك أن بعضَ الأسئلة في العلم وفي الفلسفة تظل معلّقة دون جواب، وهو ما حاولنا مساعدتك في الصفحات السابقة على فهمه، وتجاوزه من خلال التمييز بين وجود الجواب والقدرة على الوصول إليه. فإذا تبيّن لك هذا، صار واضحًا عندك أن لكل سؤال جوابا وكل جواب هو ردّ عن سؤال، سواء أدركه من أدركه وجهله من جهله.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©